الفكرة

لاسماعيل مظهر

«خرج الناس يجوبون بحر الوجود بآلاف من الشباك»

بهذا وصف الناس طاغور . فكل يوم يخرجون منتشرين في فجاج الارض ، يجوبون بحر الوجود بآلاف من الشباك . ولكن كيف يكون منقلبهم ؟ ذاك ما لم يرد طاغور ان يتكلم فيه . بل انهُ ترك جميع الناس يخرجون صبيحة كل يوم من مآويهم يجوبون ذلك البحر اللجيّ ، بحر الوجود ، بآلاف من الشباك ، يتسقط كل منهم حظه ونصيبه من الدنيا

اما انهم يعودون الى مآويهم بهذه الشباك مرة اخرى ، فذلك امر محتوم . اما الشباك فحمل على اكتافهم ، سواء اخرجت بالصيد الطيب ، ام بالرمل والحصى . فلا بد اذن للناس من شباك ولا بد لهم من نصيب تخرجه هذه الشباك . ولا بد لهم ايضاً من ان يحملوا هذه الشباك ويجوبون بها بحر الوجود . والوجود

« دنيا تعجّ بكائها فهذا يغني وذاك ينوح وذاك مستسلم للقدر »

وكان « يوحنا » من المستسلمين للاقدار . يحمل شبكته كل يوم ويخرج يجوب بحر الوجود مع الذين يجوبونهُ ، ويعود راضياً بما وقع في شبكته . يمضي الى مأواه ما كنّا ، ويلقي بصيده جانباً ، ثم يمضي يتأمل في بحر هذا الوجود . يعيش مع احدى بنات حواء ، وحوله عشرة من الاولاد . اما هو فكان قد حطم الاربعين . وأما الشبكة التي كان يخرج بها الى بحر الوجود ، فلم تكن من الشباك التي يزوّدها ذلك البحر إلا بالحاجة من زاده . ولكن القدر اخرج « يوحنا » الى الوجود سليل رجل كان بحر الوجود يزوده بالكثير من صيده ، وترك له من الدنيا نصيباً يكفيه التعب والكدح في سبيل العيش : بل كان في يسار . وبحر الوجود بعد ان زوّد التاجر بالصيد الكثير ، نمّى على الابن المفكر بصيد ولو كان قليلاً ، مما يرد السغب ويشبع بطناً شعثه الجوع

وهكذا خرج « يوحنا » الى الدنيا بمال ابيه ، ولكن برأس جديد . رأس يضن عليه بحر الوجود بخيره ، بل هو يبتلع اذا استطاع ما بين يدي صاحبه من صيد جاد به على غيره من اسلافه الاولين

وكان « يوحنا » يحمل رأس فيلسوف مستهتر ، ابيقوريّ من الطراز الاول الذي عاش قبل ان يكون ابيقور ، ذلك الطراز الذي عاش في الاسكندرية ابان ازدهارها بالعلم والفلسفة ، من طراز الفلاسفة الذين عشقوا « لايس » خليعة اثينا ، او الذين لعبت بهم « تايس » في